



كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا
قسم التفسير وعلوم القرآن

ملخص بحث
مظاهر الإعجاز القرآني
في فواتح سور الحمد

بحث مقدم المؤتمر العلمي الدولي الخامس الذي تنظمه كلية اللغة العربية بالقرين بالتعاون مع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الفترة من ٢٦ إلى ٢٧ إبريل ٢٠١٧ م

د/حسن أحمد حسن خفاجي

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا

الحمد لله الكريم الوهاب، منزل الكتاب تبصرة وذكرى لأولي الألباب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب ومسبب الأسباب ، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [سورة غافر: ٣] ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بفصل الخطاب وبأفضل كتاب، صل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله الأنجاب، وأصحابه الأحباب، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب. أما بعد:

فالقرآن الكريم معجزة الله الخالدة، وحجته البالغة، وآيته المتجددة، لا تنقضي عجائبه ولا تنقطع غرائبه ، ، وآفاق إعجازه في نظمه، وألفاظه، وأساليبه، وتراكيبه، وتعبيراته لا يمكن حصرها؛ لما يجليه من بعد جمالي ودلالي يقف أمامه المتلقي مندهشا لإثرائه معانٍ مديدة ومبانٍ عجيبة .

ولأنّ مظاهر الإعجاز القرآني كثيرة، وليس لأحدٍ أن يستقصيها في بضع دراسات، فقد آثرت أن أقف عند أحدها وهو : مظاهر الإعجاز القرآني في مطالع السور المفتحة بالحمد ، فهو من الموضوعات الجديرة بالبحث ؛ لأن فاتحة السورة أول ما يطرق سمع المتلقي ، وقد جاء القرآن الكريم بأبلغ الفواتح وأحسنها ، براعة استهلالٍ ، وحسن إجمالٍ ، فالفاتحة كالمقدمة للمتلقي تأخذ فكره ، وتجذب انتباهه ، وتستكشف ما تنطوي عليه آيات الله ، وتعرض موضوعاته ، وتسير بلب فؤاده إلى عجيب تأثيراته، ويديع مقتضياته ، فيها من الكنوز المخبوءة، والفوائد المكنونة ما يحير العقول ويجعلها في ذهول ، ويدهش الألباب ، ويذهلها بالحكم والأسباب ؛ فهو باب مفتوح ، ومنال ممنوح ؛ لكل من يغدو ويروح .

فالسور المفتحة بالحمد لم تأت متوالية كالحواميم ، وإنما متفرقة بين أربع القرآن ، ورتبت تريبا عجيبا ثلاث متفرقات : الفاتحة ، الأنعام ، الكهف ، وثنان متواليان : سبأ وفاطر ، وكذا جاءت متغايرة ، و أوتر فيها التعبير بالحمد دون المدح لله أو الشكر لله ، و التعبير بالجملة الاسمية دون الفعلية أي بالحمد لله دون أحمد الله وغير ذلك مما يأت في مواضعه ، مما يدعوا للتأمل والتفكر والتدبر. ففيها مظاهر للإعجاز اللغوي ، والبياني ، والتركيبي ، والأسلوبي ، والتأثيري ، والعلمي .

وهذا الموضوع على عظم خطره ، فهو ليس بالجديد ؛ بل جذوره متأصلة في كتب التفسير و علوم القرآن ؛ ومن أراد ولوج هذا الباب يحتاج إلى سنوات ولا يستطيع حصر دلالات الفواتح البيئات ، وروعة العبارات ، و سحر الكلمات ، ورشاقة الجمل البالغات ؛ فأردت الوقوف عند إحدى دلالات الفواتح الشاهدة ، حتى تعم الفائدة ، ألا وهي : مظاهر الإعجاز القرآني في فواتح سور الحمد ، جافيت فيه الإيجاز المخل، والإطناب الممل، حرصًا على التقريب لفهم مقاصده، والحصول على جملة فوائده.

راجياً من الله تعالى حسن التأييد والتوفيق والتسديد، بعمه وعونه.

وقد بدأت بتعريف موجز لمصطلحات البحث : مظاهر الإعجاز والفواتح والخواتم ، فبينت أن مظاهر الإعجاز مركب من كلمتين ، عرفت كلا على حده ، وأوضحت تعريف مظاهر الإعجاز كمركب بأنه : أوجه القرآن الخارقة للعادة ، التي عجز المخاطبون عن الاتيان بمثلها ، وأظهرت تعريف الفواتح في الاستعمال اللغوي والاصطلاحي.

ثم توقفت أمام مظاهر الإعجاز القرآني بين المقلين والمكثرين من المفسرين وعلماء الإعجاز ، فذكرت نموذجين لكل ؛ أحدهما متقدما والآخر متأخرا ؛ لئلا يطول المقام ، واختتمته بخلاصة للقول بأن : الإعجاز مطلق ؛ ، ولا يتصور في جانب محدود ، فلا تعارض بين أقوال المفسرين و العلماء المدونين للإعجاز فالخلاف شكلي وأما من حيث الجوهر فلا نزاع ؛ لأن كل فريق التمس مظهر الإعجاز في جانب من جوانب تميز القرآن ، وقد عرض الإمام الزركشي في البرهان أحد عشر وجها من أوجه الإعجاز ثم قال الثاني عشر: " وهو قول أهل التحقيق : إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده فإنه جمع ذلك كله ، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق " (١).

وإتماما للفائدة تحدثت عن أنواع الفواتح إجمالا فلم تأت على وتيرة واحدة، وإنما جاءت على ألوان شتى من أساليب العربية والبيان ، فقد افتتح الله كتابه واختتمه بعشره أنواع من الكلام ؛ لا يخرج من السور شيء عنها ، وذكرت أن مدار البحث سيكون عن السور المفتحة بالحمد فقط ، ثم تناولت بيان أهمية الفواتح باختصار شديد مختتمها بقول السيوطي في خاتمة ألفيته عقود الجمان في علم المعاني والبيان:

وَسُورُ الْقُرْآنِ فِي ابْتِدَائِهَا *** وَفِي خُلُوصِهَا وَفِي انْتِهَائِهَا
وَأَرْدَةِ أَبْلَغِ وَجْهِ وَأَجَلِّ *** وَكَيْفَ لَا وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ جَلُّ

(١) - ينظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٠٦/٢ - دار إحياء الكتب العربية- الطبعة : الأولى ١٩٥٧ م .

وَمَنْ لَهَا أَمْعَنَ فِي التَّأْمَلِ *** بَانَ لَهُ كُلُّ حَفِيٍّ وَجَلِيٍّ (١)

ثم شرعت في بيان مظاهر الإعجاز القرآني في السور المفتحة بالحمد

على النحو التالي :

مقدمة ، وتمهيد ، وسبعة مباحث ، وخاتمة .

المقدمة وتشتمل على :

أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهج البحث ، والدراسات السابقة ،

وخطة البحث

التمهيد ويشتمل على :

- أولاً : التعريف بمظاهر الإعجاز . رابعاً : أهمية فواتح السور .
ثانياً : التعريف بفواتح السور . خامساً : أنواع الفواتح إجمالاً .
ثالثاً : مظاهر الإعجاز إجمالاً . سادساً : الفواتح المعتبرة بالبحث

المبحث الأول : مظاهر الإعجاز اللغوي .

المبحث الثاني : مظاهر الإعجاز البلاغي .

المبحث الثالث : مظاهر الإعجاز في الفاصلة .

المبحث الرابع : مظاهر الإعجاز في ترتيب سور الحمد .

المبحث الخامس : مظاهر الإعجاز في فواتح الحمد بين الطول والقصر .

المبحث السادس : مظاهر الإعجاز التأثيري .

المبحث السابع : مظاهر الإعجاز العلمي .

(١) - ينظر : شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ص ١٧٥ ، طبعة دار الفكر - بيروت ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م .

أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر^(١)

وإنما كان أساتذتنا وعلماؤنا يعتذرون بذلك تواضعا - مع جودة صنعتهم، وعظيم نفعها - فما بالكم بالفقير - فإنما أعتذر به للقصور وقلة البضاعة .
فالله أسأل أن يوفقتني إلى ما يحبه ويرضاه

﴿ رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَلُّكَ آلَيْنَا وَنَبِّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ الممتحنة: ٤

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د/حسن أحمد خفاجي

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا

(١) - ينظر : الإحياء للزبيدي ٣/١ ، إعلام العابد في حكم تكرار الجماعة في المسجد الواحد ص ٧ .